**الكتاب المقدس والثوابت الإيمانية**

**لنيافة الأنبا بيشوى**

كان الكتاب المقدس ولا زال هو المرجع الأول فى الكنيسة، وهذا هو الدرب الذى سار عليه الآباء القديسون منذ القرون الأولى ونحن نتبعهم. ومما يدل على كثرة اعتماد الآباء فى القرون الأولى على الكتاب المقدس أن هناك إحصائيات لبعض العلماء تثبت أن كتابات الآباء فى القرنين الثانى والثالث تضمنت كل آيات العهد الجديد ماعدا 11 آية فقط.

وعلى مر العصور استطاع الآباء التصدى للهرطقات بكل أنواعها عن طريق آيات الكتاب المقدس فالقديس أثناسيوس أثبت عقيدة الثالوث والمساواة بين الأقانيم، والجوهر الواحد للأقانيم والتمايز الأقنومى من الكتاب المقدس، كما شرح تجسد الكلمة مستعيناً بآيات من الكتاب المقدس. ثم أثبت القديس كيرلس الاتحاد الطبيعى والأقنومى لله الكلمة وأن العذراء هى والدة الإله من الكتاب المقدس. وقد تصدى الآباء لهرطقة مقدونيوس بإثبات ألوهية وأقنومية الروح القدس من الكتاب المقدس، وتصدوا لهرطقة أبوليناريوس وسابيليوس أيضاً من الكتاب المقدس.

هكذا حينما تقابلنا الآن أفكار غريبة نرد عليها أيضاً من الكتاب المقدس فكل ثوابتنا الإيمانية مرجعها الأول هو الكتاب المقدس.

لقد خرج علينا فى هذه الأيام من يدّعى أن إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد، ومن يقول أن الله حنّان فلماذا لا يغفر بدلاً من أن يعاقب الخطاة، ومن يقول ما ذنب الذين لم تصل إليهم الكرازة وحيث أنه لا ذنب لهم فإنهم يخلصون بدون الإيمان، أو من يقول أن الجسد والدم الذى نتناوله فى الكنيسة ليس جسد ودم حقيقى، أو من يدّعون أن التكلم بألسنة يجب أن يظل فى الكنيسة، أو من يدعون تأليه الإنسان، أو من يدعون أن الله لا يمكن أن يتجسد ويصير إنساناً، وغيرها الكثير والكثير مع الأسف!! طبعاً لن نتطرق إلى كل الموضوعات، أو نتكلم عنها بالتفصيل لأن هذا يحتاج إلى كتب وكتب لكننا سنذكر نقاط معينة بالقدر الذى تسمح به الظروف.

**الثالوث القدوس:**

إن عقيدة الثالوث هى من أهم العقائد المسيحية. إليكم أمثلة لما ورد فى الكتاب المقدس عن الثالوث بوضوح (علماً بأن الجمع للتعظيم غير موجود فى اللغة العبرية فالجمع فى العبرية هو جمع عددى):

**العهد القديم**:

* "وَقَالَ اللهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (تك 1: 26).
* "هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ" (تك 11: 7).
* "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (مز 33: 6).

**العهد الجديد:**

* فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ (مت28: 19).
* فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ (1يو 5: 7).
* فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عب 9: 14).
* "وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا" (تى 3: 4-6).

وقد ورد فى رسالة معلمنا يوحنا الرسول الأولى أن **"الله محبة"** (1يو 4: 18). نستخلص من ذلك أن الله يجب أن يكون فى ثلاثة أقانيم لكى تمارس المحبة منذ الأزل. فالمحبة فى الله غير مرتبطة بالخليقة لأن المحبة هى صفة من صفات الله الجوهرية. إذ كيف كان الله يمارس المحبة قبل الخليقة؟ أن حب الشخص لنفسه هو حب أنانى متمركز لذلك يجب أن يكون هناك آخر. والحب لواحد آخر فقط هو حب طارد أما الحب بين ثلاثة فهو كمال الحب.

**لقد استخلص القديس أثناسيوس كل مفاهيمه اللاهوتية عن الثالوث من الكتاب المقدس ونلاحظ فى كتاباته كيف يذكر الآية تلو الأخرى ويجمعهم ببراعة فائقة.** فقال عن كون الآب هو الينبوع الذى منه تتدفق الحكمة والحياة مثلما يتدفق الحق والقوة والقدرة، وعن أن الابن هو الحياة والحكمة المتدفقة من الآب كينبوع والد للابن ما يلى:

"إن كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة كما جاء فى سفر أرميا "تركونى أنا **ينبوع** الماء الحى" (أر2: 13) وأيضاً "أن عرش المجد ذو المكانة الرفيعة هو موضع مقدسنا أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون والمتمردون عليك فى تراب الأرض يكتبون لأنهم تركوا الرب **ينبوع الحياة**" (أر17: 12، 13). وقد كتب فى باروخ أنكم قد هجرتم ينبوع الحكمة (باروخ3: 12) وهذا يتضمن **أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع** بل هما خاصة له (خواص له)، ولم يكونا أبداً **غير موجودتين**، بل كانا دائماً **موجودين**. والآن **فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذى يقول "أنا هو الحياة" (يو14: 6) وأيضاً "أنا الحكمة ساكن الفطنة"** (أم8: 12) كيف إذاً لا يكون كافراً من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجوداً لأن هذا مثل الذى يقول تماماً كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافاً خالياً من الحياة والحكمة. ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعاً، لأن الذى لا يلد من ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعاً". (المقالة الأولى ضد الأريوسية ف6 : 19)

ويؤكد **القديس أثناسيوس** على التمايز الأقنومى بين الأقانيم فى قوله:

"ولأن اللاهوت واحد فى الآب والابن، فإنه نشأ عن ذلك بالضرورة أن كل الصفات التى تقال عن الآب قيلت هى بعينها عن الابن، **إلا صفة واحدة وهى أن الآب أب**.. لأن الابن نفسه يقول عن ذاته (مخاطباً الآب) "كل ما هو لى فهو لك، وما هو لك فهو لى" (يو17: 10).. **ثم لماذا تنسب صفات الآب للابن؟ إلا لكون الابن هو نبع من الآب"** (المقالة الثالثة ضد الأريوسية الفقرة رقم 4 ورقم5)**.**

وقال عن الابن: "إذن، فابن الله هو "الكلمة" و "الحكمة"، هو "الفهم" و"المشورة الحية" وفيه تكمن "مسرة الله الآب"؛ هو "الحق" و "النور" و "القدرة" التى للآب" (المقالة الثالثة ضد الأريوسية الفقرة رقم 65).

**هل الله قادر على التجسد:**

يدّعى البعضأن الله غير قادر على التجسد فكيف لغير المحدود أن يكوِّن مع المحدود شيئاً واحداً، أو كما قال أريوس ومن قبله أوريجانوس أن الله منزه عن الاتصال بالمادة، أو كما يقول آخرون أن الجوهر الإلهى لو اتحد بالجوهر البشرى لاحترق... مع أن العليقة المشتعلة بالنار ولا تحترق التى رآها موسى تنفى هذا الكلام...

ورد ظهور الله لموسى فى العليقة فى العهد القديم فى سفر الخروج الأصحاح الثالث حيث قال الله "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ" (خر 3: 6)، كما ورد أيضاً فى العهد الجديد فى الأصحاح السابع من سفر أعمال الرسل. كما أن العليقة المشتعلة بالنار موجودة فى نصوص عند غير المسيحيين منها نص يقول [هل أتاك حديث موسى أنه رأى نار فقال لقومه أنى رأيت ناراً لعلى أتيكم منى بقبس لتصتلوا. فلما دنا ناداه موسى يا موسى **أنا ربك** أخلع نعليك أنت فى الوادى المقدس طوى]. بمعنى أن ما رآه موسى فى العليقة المشتعلة هو الله. وقد ورد ذلك فى سورة النمل وطه والقصص.

فإذا كان الله غير منزه عن الظهور لأنه قادر على كل شئ، فلماذا يكون منزهاً عن التجسد بلا خطية. إذا كان قادراً أن يظهر فهو قادر على كل شئ، وهو قادر أن يتجسد لكى يفدينا. ولماذا ننكر أنه من الممكن أن يظهر فى الجسد؟ إن الله قادر على كل شئ هو قادر على الظهور وقادر على التجسد. لكنه غير قادر على التغيير لأن التغيير هو صورة من صور الإضمحلال، كما أنه قادر على ألا يخطئ.

* يقول معلمنا بولس الرسول "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: **اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ**" (1تى3 :16).
* ويقول معلمنا يوحنا البشير "**وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً** وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو1: 14).
* وقيل أن "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيّاً" (كو 2: 9).

وكثيراً ما ظهر الله فى العهد القديم وكانت كلها ظهورات للإبن فى صورة إنسان أو ملاك[[1]](#footnote-1) فقد ظهر لإبراهيم، ولهاجر، وليعقوب، ولموسى، ولمنوح، ومع الثلاثة فتية فى الأتون إلخ.

* بل أن دانيال النبى فى رؤياه رأى "َإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ **ابْنِ إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ" (دا 7: 13).
* ويصف حزقيال النبى ما رأه بقوله: "وَفَوْقَ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ, **وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهٌ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ**" (حز1: 26).
* أما إشعياء النبى فيقول "لأَنَّهُ **يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ** وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً **إِلَهاً** قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ (اش 9: 6). فالولد الذى يولد يدعى إلهاً.

كل هذا يؤكد على فكرة التجسد، بل أن سفر الرؤيا به إشارة إلى أن الله قادر أن يتجسد حينما قال عن نفسه أنه القادر على كل شئ وأنه الأول والأخر ثم قال الحى وكنت ميتا "لاَ تَخَفْ، **أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ** إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ 1: 17، 18). **حينما قال "كنت ميتاً" أشار أن له طبيعة بشرية لأنه لن يموت بحسب لاهوته.**

الجوهر الإلهى هو جوهر روحى وليس جوهر مادى، فهو لا يتجزأ حينما يتحد بالناسوت. كما أن الجوهر الإلهى ليس جوهر ساكن، لكنه جوهر ديناميكى، فيه الحب وفيه الحياة وفيه كل ما هو ديناميكى. ولذلك أيضاً فهو لا ينحصر فى مكان، وهو "غير محوى" كما نقول فى القداس الغريغورى.

وإذا كان الله قادر على كل شئ فإنه قادر أن يظهر، فلم يكن ظهوره لموسى تجزئة للامحدوديته. وأيضاً هو قادر أن يتجسد، وليس تجسده متنافياً مع لامحدودية لاهوته، بل إن عدم قدرته على التجسد هو الذى يتعارض مع قدرته اللامحدودة على كل شئ.

إن الحقيقة لا تتجزأ حينما تُعلَن، حينما تستوعب، وحينما يتحد بها العقل فإنها لن تتجزأ أيضاً. لأن بها ديناميكية الوجود، فهى ليست ستاتيكية. وهى تستطيع أن تسرى من عقل إلى عقل، وتبعث من فكر إلى فكر لأنها حقيقة. من يسمعها ويستوعبها يستطيع أن ينقلها إلى غيره، فلا يستطيع أحد أن يحد الحقيقة، ولا أن يجزئها. وحتى لو اتحدت بعقل فهى تبقى فوق مستوى محدودية العقل. مثل حقيقة حب الله: حتى لو أدت بنا إلى أنه نقلنا من الظلمة إلى النور لكن تبقى كما نقول فى القداس الإلهى: "عال فوق كل قوة النطق هو غنى مواهبك يا سيدنا".

**أما عن الاتحاد الطبيعى والأقنومى فيقول القديس كيرلس الكبير** فى رسالته الثالثة إلى نسطور الفقرة 9 معتمداً على آيات الكتاب المقدس:

"ولسنا نقول أن كلمة الله حل فى ذلك المولود من العذراء القديسة، **كما فى إنسان عادى**، لكى لا يُفهم أن المسيح هو "إنسان يحمل الله". لأنه حتى إن كان "**الكلمة حل بيننا**" فإنه أيضاً قد قيل إن فى المسيح "**يحل كل ملء اللاهوت جسدياً**" (كو 2: 9). لذلك إذن نحن ندرك أنه إذ صار جسداً فلا يقال عن حلوله إنه مثل الحلول فى القديسين، ولا نحدد الحلول فيه أنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول فى القديسين. ولكن الكلمة إذ **اتحد "حسب الطبيعة"** (**kata fu,sin**) ولم يتغيّر إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن حلول نفس الإنسان فى جسدها الخاص".

وفى الفقرة 10 من نفس الرسالة يقول:

"وكما قلنا سابقاً، فإن كلمة الله قد اتحد بالجسد أقنومياً (**kaq' u`po,stasion**)، فهو إله الكل ورب الجميع، وليس هو عبد لنفسه ولا سيد لنفسه".

وفى رسالته لسكسينسوس (45) الفقرة 6 كتب:

"وتبعاً لذلك، فحينما نؤكد إتحاد الكلمة الذى من الله الآب بجسده المقدس ذى النفس العاقلة، وهو اتحاد يفوق الإدراك ويعلو على الفكر، وقد حدث بدون إختلاط، وبدون تغيير، وبدون تحول، فنحن نعترف بمسيح واحد الابن والرب، كلمة الله الآب، هو نفسه إله وإنسان، ليس واحد وآخر، لكن واحد هو نفسه كائن ومعروف أنه إله وإنسان... فبينما نحن نبحث كيفية تدبيره بالجسد ونسبر أعماق السر، نرى أن **الكلمة الذى من الله الآب تأنس وتجسد وأنه لم يصنع ذلك الجسد المقدس من طبيعته الإلهية** بل بالحرى أخذه من العذراء مريم. لأنه كيف صار إنساناً لو لم يكن قد لبس جسداً مثل أجسادنا؟ لذلك فعندما نعتبر –كما قلت- كيفية تأنسه **نرى أن طبيعتين اجتمعتا إحداهما مع الأخرى فى اتحاد لا يقبل الانفصام، وبدون اختلاط وبدون تغيير،** لأن جسده هو جسد وليس لاهوتاً رغم أن جسده قد صار جسد الله. وبالمثل فالكلمة أيضاً هو الله وليس جسداً، رغم أنه جعل الجسد خاصاً به بحسب التدبير. لذلك فحينما تكون لنا هذه الأفكار، فنحن عندما نقول إنه كان من طبيعتين فنحن لا نجرح الوحدة، ولكن بعد الاتحاد لا نفصل الطبيعتين إحداهما عن الأخرى، ولا نجزئ الابن الواحد غير المنقسم إلى ابنين، بل نقول بابن واحد. وكما قال الآباء "**طبيعة واحدة متجسدة لله لكلمة الله**".

**السيدة العذراء والدة الإله:**

يتهمنا البعض باستخدام لقب والدة الإله للسيدة العذراء مع أن القديسة أليصابات والدة يوحنا المعمدان قالت "فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ **أُمُّ رَبِّي** إِلَيَّ؟" (لو 1: 43) فهى إذن أم الرب و"ربى" هنا فى اليونانية هى j وهى نفس التى استعملت فى قوله "قال الرب لربى" عندما أراد السيد المسيح أن يثبت لليهود أنه الرب. وقال الملاك فى بشارته للسيدة العذراء "**الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ** يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو1: 35) إذن هى والدة القدوس..

وقد استخدم الآباء منذ العصور الأولى لقب والدة الإله للسيدة العذراء فقال **القديس البابا ألكسندروس** التاسع عشر من باباوات الكرازة المرقسية:

"ربنا يسوع المسيح فى كل عمل (وليس فقط فى ظهور) حمل جسداً كان من **مريم والدة الإله**"[[2]](#footnote-2)

**ويقول القديس أثناسيوس الرسولى** فىالمقال الثالث ضد الأريوسية النقطة 14: "والملاك عند ظهوره اعترف بنفسه أنه مرسل من الله، كما اعترف غبريال فى حالة زكريا وأيضاً فى حالة **مريم والدة الإله** (thj qeotokou Mariaj)."[[3]](#footnote-3)

ويقول أيضاً فى المقال الثالث ضد الأريوسية النقطة 29: "والآن منظور وأسلوب الأسفار المقدسة -كما قلنا كثيراً- هو ما يلى، أنها تحوى وصف مزدوج عن المخلص؛ أنه دائماً الله والابن لكونه كلمة الآب وشعاعه وحكمته؛ وأنه بعد ذلك لأجلنا أخذ جسداً من **عذراء هى مريم والدة الإله** (qeotokou) وصار إنساناً."[[4]](#footnote-4)

وفى المقال الثالث ضد الأريوسية النقطة 33: "أرميا تقدس منذ أن كان فى الرحم، ويوحنا بينما هو فى الرحم إرتكض بابتهاج عند سماع صوت **مريم والدة الإله** (qeotokou)."[[5]](#footnote-5)

وفى المقال الرابع ضد الأريوسية النقطة 32: "عندما يُسمع أن "الكلمة" اتحد بالجسد، فليُفهم أن سر التجسد الإلهى واحد وبسيط. والأكثر وضوحاً، والذى لا يقبل الجدل من أى عاقل هو ما قاله رئيس الملائكة فى بشارته **لوالدة الإله** (qeotokon) نفسها."[[6]](#footnote-6)

وفى الرسالة الثانية إلى نسطور وهى الرابعة فى عداد الرسائل من القديس وإليه وهى المسماه بالرسالة العقائدية فى الفقرة 7 يقول **القديس كيرلس الكبير**:

"لكن في اتخاذه جسداً ظل كما هو. إن تعليم الإيمان الصحيح يحتفظ بهذا في كل مكان. وهكذا سوف نجد أن الآباء القديسين قد فكروا بهذه الطريقة. **ولهذا لم يترددوا في تسمية العذراء القديسة بوالدة الإله. وهم لم يقولوا إن طبيعة الكلمة أي لاهوته أخذ بداية وجوده من العذراء القديسة**، بل أن **جسده المقدس**، المُحيىّ بنفس عاقلة، قد ولد منها، الذي به إذ اتحد الكلمة أقنومياً، يقال عن الكلمة إنه **ولد حسب الجسد**.".. "فيقال إن الكلمة قد قبل الولادة الجسدية، لكي ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص."

إن من لا يعترف إن العذراء هى والدة الإله هو فى حقيقته لا يعترف أن المسيح هو الله. وهذا ما جعل القديس كيرلس الكبير يناضل من أجل لقب والدة الإله. فمن يؤمن بالاتحاد الطبيعى والأقنومى فى شخص الله الكلمة يؤمن أن العذراء هى والدة الإله. لذلك كان الحرم الأول من حرومات القديس كيرلس الكبير ضد نسطور كما ورد فى رسالته الثالثة إلى نسطور وهى الرسالة 17 من وإلى القديس كيرلس هو كما يلى:

**"من لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة، وبالتالى لا يعترف أن العذراء القديسة هى والدة الإله لأنها ولدت جسدياً كلمة الله المتجسد، فليكن محروماً".**

**اتهامنا بالمغالاة فى وصف العذراء**

يقول بعض المهاجمين فى شفاعة العذراء مريم ويستشهدوا بكتابات وشهادة من داخل الكنيسة فيقولون أن الناس تغالى فى مدح العذراء لدرجة قريبة من العبادة، وليس هذا فقط ولكننا ننسب لها ألقاب أوصاف وأفعال تخص الله إلى حد تبادل الألقاب والأفعال لدرجة [يشمئز له الذوق اللاهوتى السليم] هذا بحسب تعبير أحد الكتّاب من داخل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ويستشهد بها بعض المهاجمين للأرثوذكسية. كمثال لذلك قولنا فى قطع صلاة الغروب: [لأبواب الجحيم إغلقى] وفى قطع صلاة الستار: [إذ وضعنا الثقة فيك لا نخزى بل نخلص].

**أبواب الجحيم اغلقى:**

هذه العبارة وردت فى القطعة الثالثة من قطع صلاة الغروب التى تخاطب العذراء فلنأخذها من بدايتها: [عند مفارقة نفسى من جسدى إحضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء إهزمى، ولأبواب الجحيم إغلقى لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى].

سل كثير من الأسر التقية المتدينة ستجد أن كثيرين من الذين كانوا يصلون صلاة نصف الليل على ضوء الشموع شاهدوا السيدة العذراء مريم فى وقت إنتقالهم، ومن أمثلة هؤلاء الشهيد سيدهم بشاى. ففى مخطوطة سيرة الشهيد سيدهم بشاى كتب أنه قال لمن حوله (هاتوا لها كرسى تقعد عليه أهى جايه ولابسة أبيض هاتوا كرسى للست) وقتها كانوا يصبون الزيت المغلى على رأسه.

**حضور العذراء عند مفارقة نفس أى إنسان قديس:**

هى تأتى كأم حنونة لمن يصلى هذه الطلبة يطلب منها أن تأتى ويقول أيضاً [لمؤامرة الأعداء إهزمى].

يقول الكتاب عن الملاك ميخائيل "وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجّاً عَنْ جَسَدِ مُوسَى، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ" (يه1: 9). ما الذى أتى بالملاك ميخائيل عند جسد موسى؟ السبب هو وجود خطة شيطانية لإظهار جسد موسى حتى يعبده شعب إسرائيل فى ذلك الوقت.

هكذا الأمر مع المنتقل من هذا العالم فإن الشياطين تأتى لتقبض روحه فيستنجد بالعذراء لكى تقف بجانبه وكأنه يقول: إلحقينى يا عذراء.. تعالى قفى معايا.. الشياطين ترتعب لما تشوفك موجودة جنبى.. لمؤامرة الأعداء إهزمى.. وهكذا بوجودك وطردك للشياطين القادمين لمحاربة نفسى بهذا تكونين قد أغلقتى أبواب الجحيم بالنسبة لروحى.

هل كان خطأً أن يصارع ميخائيل إبليس من أجل جسد موسى؟! هل كان لابد أن يأتى المسيح شخصياً لهذا الأمر؟! وفى سفر الرؤيا يذكر: "وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ. وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ. وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ... وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: **الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا** وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ..." (رؤ12: 7 و8 و10).

قوله "صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا": هل هذا الخلاص هو الذى يصنعه ميخائيل؟ أليس السيد المسيح هو الذى يتمم الخلاص؟

بالطبع السيد المسيح هو الذى يتمم الخلاص لكن هذه معركة مرحلية حينما طُرح إبليس إلى الأرض حينما حُلّ من سجنه "عَالِماً أَنَّ لَهُ زَمَاناً قَلِيلاً" (رؤ12: 12)، فخرج ليضل الأمم. ولكن المعركة الفاصلة قال عنها معلمنا بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى "الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (2تس2: 8)، أما الحرب المرحلية فى الوسط فهذه يمكن أن يرسل له فيها ميخائيل وجيشه.

هل لابد أن يدخل المسيح فى كل معركة بنفسه؟!!

المعركة الفاصلة الأخيرة مثل معركة الصليب ومجيئه الثانى. فقد ورد عن إنسان الخطية ابن الهلاك الوحش أن "مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ، وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ" (2تس2: 9-10) "الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ" (2تس2 : 8).

من الذى سيبطل الشيطان نهائياً وإلى الأبد؟ هو السيد المسيح... ولكن هناك معركة مرحلية عندما حُلَ الشيطان من سجنه وحاول أن يخترق السماء.

هكذا بعدما حُلَ إبليس من سجنه طلع بجيشه إلى السماء فأمر السيد المسيح الملاك ميخائيل أن يصارعه، فحدثت حرب فى السماء. هذا مشهد من ضمن مشاهد عدة فى سفر الرؤيا. وهذه الحرب هى بعدما حُل الشيطان من سجنه، ولذلك فى نهاية هذا الأصحاح من سفر الرؤيا يقول "وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ، عَالِماً أَنَّ لَهُ زَمَاناً قَلِيلاً" (رؤ12: 12).

إذاً هذه الصلاة هى طلبة من أجل طلب مساندة العذراء والقديسون والملائكة للإنسان حتى لحظة موته لكى تبعد عنه ضغوط الشيطان.

ألم يقل السيد المسيح عن لعازر المسكين أنه بعدما مات "حَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ" (لو16: 22)؟ ومع أن هذا مثل وليس قصة حقيقية، لكن هل يقول المسيح أن الملائكة حملت روح لعازر بينما لا يكون للملائكة دور فى ذلك؟! والسيد المسيح وهو يفسّر للتلاميذ مثل القمح والزوان قال "وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ" (مت13: 39) وأنهم سيجمعون الحصاد من أقصاء الأرض.. إذن ما الخطأ فى أن أطلب أن يكون الملائكة والقديسين معى فى لحظات إنتقالى عند مفارقة نفسى من جسدى؟! ستأتى العذراء ومعها الملائكة ليحاربوا من أجل تلك النفس التى تصرخ مستغيثة بهم طالبة مساعدتهم.

أقتبس مثالاً من التكنولوجيا الحديثة: هل من يحاربوننا فى موضوع شفاعة القديسين لا يستخدمون ميكروفون فى الوعظ فى كنائسهم؟ طبعاً يستخدمون.. فلماذا لا يخجلون لكونهم يصلون أحياناً بالميكروفون؟

أما أنا فميكروفونى هو السيدة العذراء، وصلاتى أنا لا ترتفع حتى إلى مجرد سقف الحجرة، ولكننى عندما أستخدم العذراء ميكروفوناً لى تصل الصلاة إلى الله.

**الادعاء بضمان الخلاص وعدم عقاب الأشرار**

يدعى البعض أن الله رحيم فلن يعاقب أحد، أو أننا نضمن الخلاص والأبدية طالما نحن مؤمنون، أو كيف يطالبنا الله بالغفران وهو لا يغفر؟! كل هذا يتنافى مع الثوابت الكتابية الواضحة.

لقد علَّم السيد المسيح بمبدأ الباب الضيق فقال:

"**أدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ** لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي **يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ** وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ! مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" (مت 7: 13-14، انظر أيضاً لو 13: 24).

علاوة على ذلك فقد علَّم السيد المسيح موضحاً شروط دخول الملكوت بقوله للذين عن اليسار أنهم يمضون إلى عذاب أبدى لأنهم لم يصنعوا البر ولم يعيشوا فى كمال المحبة، وهذا الحديث يثبت أننا لسنا عن يمين الآب فى المسيح من الآن، كما يدّعى البعض، كما أنه يوضح أن هناك شروط دقيقة لدخول الملكوت، فالأمر يحتاج إلى عمل وجهاد وترجى مراحم الله طول العمر. ونلاحظ أن الذين عن اليسار ليسوا غير مؤمنين ولا أشراراً ولا مرتكبو جرائم ومع ذلك فإن السيد المسيح يقول لهم:

"**اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ**. لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَاناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً: يَارَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (مت 25: 41-46).

وأكثر من ذلك يقول مؤكداً أن دخول الملكوت ليس مشاعاً: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ **يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ** إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ" (مت 19: 23-24).

كما قال السيد المسيح أيضاً أن صنع المعجزات وإخراج الشياطين لا يدل على أن الشخص سوف يدخل ملكوت السموات: "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: **يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ:** **إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ**!" (مت 7: 21-23).

بل وأكثر من ذلك فإنه فى ليلة آلام السيد المسيح قال لبطرس الرسول أحد الإثنى عشر الذين إختارهم مخلصنا وقال لهم أنهم يجلسون على إثنى عشر كرسياً يدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر (انظر لو 22: 30) وهو يعتبر أحد الأعمدة (انظر غل 2: 9) ما يلى:

"سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي **طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ**" (لو 22: 32) وهى عبارة مرعبة تدفعنا للجهاد حتى آخر نسمة.

وقال السيد المسيح مؤكداً ومكرراً وهو يحث جميع سامعيه على حياة التوبة:

"كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ. **بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ**" (لو13: 3، 5).

وهكذا أيضاً قال القديس يوحنا المعمدان مؤكداً أن الأمر ليس هيناً:

"الآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ **فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ**" (مت 3: 10).

لذلك كان معلمنا بولس الرسول محقاً فى قوله محذراً: "**لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ**" (رو11: 20) هذا حينما كان يتكلم عن الزيتونة البرية وأن بعض الأغصان قطعت ثم طعمت أغصان أخرى، فأكمل بقوله " لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضاً! **فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضاً سَتُقْطَعُ**". (رو 11: 21-22).

ولأن هذه المشاعر راسخة فى مشاعره وضميره قال:

"**أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً**" (1كو 9: 27).

يقول أيضاً معلمنا بولس الرسول:

"**لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضاً لِلتَّوْبَةِ**، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمُ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ. لأَنَّ أَرْضاً قَدْ شَرِبَتِ الْمَطَرَ الآتِيَ عَلَيْهَا مِرَاراً كَثِيرَةً، وَأَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ، تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ اللهِ. وَلَكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكاً وَحَسَكاً، فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ، الَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ" (عب 6: 4-8).

يعوزنا الوقت إذا ذكرنا أقوال الآباء الرسل فى هذا الصدد لكن على سبيل المثال أنظر الشواهد التالية عن هلاك ودينونة البعض من المؤمنين لعدم كمالهم فى البر: (1كو 6: 10، 1كو 11: 27، 29، فى 3: 9، 2 تس 1: 9، 1تى 6: 9، تى 1: 16، 2بط 2: 3).

أما فى سفر الرؤيا فيقول السيد المسيح نفسه منذراً ملاك كنيسة أفسس:

"أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلاً، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ. وَقَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ. لَكِنْ **عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى. فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلا فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ**" (رؤ2: 2-5).

فرغم كل الصلاح الذى عدده له الله نفسه إلا أنه يهدده بزحزحة منارته عن قريب إن لم يتب لمجرد أنه ترك محبته الأولى.

ولملاك كنيسة اللاوديكيين قال الرب:

"أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ، أَنَّكَ لَسْتَ بَارِداً وَلاَ حَارّاً. لَيْتَكَ كُنْتَ بَارِداً أَوْ حَارّاً. هَكَذَا لأَنَّكَ فَاتِرٌ، وَلَسْتَ بَارِداً وَلاَ حَارّاً، **أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَتَقَيَّأَكَ مِنْ فَمِي.** **لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَائِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ**" (رؤ3: 15-17).

**غضب الله ضد الخطية والكفارة والفداء:**

يقول المزمور "الرحمة والحق تلاقيا. البر والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق والبر من السماء إطلّع" (مز85: 10-11). فكما أن الصليب هو إعلان عن محبة الله حسب قول السيد المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو3: 16)، فإن الصليب أيضاً إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة. كما هو مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب9: 22).

فالغفران الإلهى هو غفران مدفوع الثمن. لأن الخطية والبر لا يتساويان عند الله. ولكى يعلن الله بره الكامل وقداسته المطلقة فلابد أن يعلن غضبه على الخطية. كقول معلمنا بولس الرسول "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (رو1: 18). ويقول أيضاً معلمنا بولس الرسول "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب 10: 31)، ويقول "لأن إلهنا نار آكلة" (عب12: 29). **وقيل عن عمل السيد المسيح الفدائى المذكور فى سفر الرؤيا** "وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ" (رؤ19: 15).

إذاً، الله يغضب بسبب الخطية وهذا واضح تماماً فى كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد المقدسة. ولكن توجد موجة معاصرة وسط بعض أفراد الكنيسة، نقلاً عن لاهوتيين غربيين محدثين، تَدّعى أن الله لا يغضب بسبب الخطية، ولا يعاقب الخطاة على خطاياهم. وتستبعد فكرة إيفاء العدل الإلهى حقه على الصليب. وتستنكر فكرة العقوبة فى حكم الموت الذى صدر ضد الإنسان. وبهذا يبدأ تمييع فكرة الفداء وعقيدة الكفارة بما يؤدى إلى إهدار قيمة العقيدة المسيحية. موضوع خطير إلى أبعد الحدود..!

لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية، بل لابد أن تُعلن **قداسة** الله الكاملة كرافض للخطية والشر فى حياة الإنسان أى كرافض لخطية الإنسان. **عدل الله** فى محاسبته على الخطية معناه أن تظهر قداسة الله الكاملة بأن تنال الخطية قصاصاً عادلاً. حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه، مانحاً الخاطئ فرصة للتوبة والحياة، بعد أن يكتشف بشاعة الخطية ويكرهها قابلاً محبة الله الشافية والغافرة التى يمنحها الروح القدس فى الأسرار.

كان الإنسان الضائع الذى سقط فى فخ إبليس، وسقط تحت الغضب الإلهى يحتاج إلى من يخلّصه. كقول الرب "من يد الهاوية أفديهم. من الموت أخلصهم" (هو13: 14). وكان الأمر يحتاج إلى من يسحق سلطان الموت ويهزم طغيانه، **ويحتاج إلى من يستطيع أن يحرر المسبيين ويخلصهم من أسر إبليس وينقذهم من الغضب الإلهى.**

إن الإنسان حينما ينظر إلى صليب الرب يسوع المسيح يقف مبهوراً من محبته، ومخزياً من كل خطية تسببت فى صلبه. إنه يرى فى الصليب الحب بأجلى معانيه. ويرى أيضاً العدل يأخذ مجراه. ويسمع كلمات الرسول منذراً إياه هو وغيره من المؤمنين: "قد إشتريتم **بثمن** فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (1كو6: 20). وأيضاً قوله "أنكم لستم لأنفسكم" بل للمسيح (1كو6: 19). أليست هذه هى الأنشودة الرسولية "كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم و قام" (2كو5 : 15).

إن الله لكى ينقذنا من نتائج خطايانا، "**أرسل ابنه كفّارة لخطايانا**" (1يو4: 10) وأدان الخطية كقول معلمنا بولس الرسول "الله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية** فى الجسد" (رو8: 3). إدانة الخطية فى الجسد، تعنى أن الخطية قد أدينت على الصليب. فالله "لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو8: 32). الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا فى جسده بل أعلن غضبه على الخطية لكى تنال الخطية دينونة عادلة. وهنا يتبرر الله كقدوس وكرافض للشر.

إن الله يريد أن يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان. فمن يقبل أن يحمل المسيح خطاياه عنه، فإنه يرى بعينيه الخطية قد سُمرت على الصليب. ويعلم بهذا أن خطاياه قد غفرت. يرى بعينيه الخطية وقد أدينت دينونة عادلة. وهكذا قال معلمنا بولس الرسول "إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو2: 14).

وقد أشار القديس يوحنا ذهبى الفم إلى أهمية رفع الغضب الإلهى لإتمام المصالحة فقال [ولكى تعلموا أننا أخذنا الروح القدس كعطية تصالح الله معنا.. وأن الله لا يرسل نعمة الروح القدس إذا كان غاضباً منا. لكيما إذا اقتنعت بأن غياب الروح القدس هو دليل غضب الله، تتأكد أن إرساله مرة أخرى هو دليل المصالحة لأنه لو لم تكن المصالحة قد تمت لما أرسل الله الروح القدس ] (العظة الأولى عن عيد حلول الروح القدس).

وهنا نتذكر قول معلمنا بولس الرسول "مخيف هو الوقوع فى يدّى الله الحى" (عب10: 31). "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدّس به دنساً وإزدرى بروح النعمة" (عب10: 28،29).

"فإننا نعرف الذى قال لى الإنتقام أنا أجازى يقول الرب. وأيضاً الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب10: 30-31). وقوله أيضاً "لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة". (عب12: 28-29).

نحن اليوم حينما نقول "سامحنا يارب" عندما نخطئ. يقول لنا الرب: نعم أسامحكم لكن لابد أن تفهموا أن خطيئتكم ثمنها مدفوع. ثمناً غالياً..

**لماذا لا يغفر الله لنا بدون الصليب ؟**

البعض يقولون لماذا لا يغفر الله الخطية بناءً على طلب الإنسان بدون آلام الصليب ومعاناته. ونحن نجيبهم: أن الله إذا غفر بدون قصاص كامل للخطية يكون كمن يتساوى عنده الخير والشر. وإذا كان الغفران هو علامة لرحمته فأين قداسته الكاملة كرافض للشر إن لم تأخذ الخطية قصاصاً عادلاً؟ نحن نفهم أن الله يقول أنا أغفر لكم. لكنى أغفر لمن يدرك قيمة الغفران أن ثمنه غالى جداً؛ ولمن يقبل نعمة الشفاء من الخطية بفعل التجديد والتطهير الذى يعمله الروح القدس.

والكتاب يقول عن شفاء مرض لذة الخطية التى دفع ثمنها السيد المسيح "**الذى بجلدته شفيتم**" (1بط2: 24). **وقيل أيضاً أنه "مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا مِلنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش53: 5،6).**

فإذا تجاهلنا العدل الإلهى.. فما الداعى للصليب أصلاً؟.. ما لزومه؟ هل الصليب مجرد تمثلية لكى يظهر لنا السيد المسيح محبته فقط؟!! ثم ما معنى كلمة "الفداء"؟ حينما يقول "ليبذل (المسيح) نفسه فدية عن كثيرين" (مت20: 28) أو "الذى بذل نفسه فدية" (1تى2: 6). هل أصبحت كلمة الفداء كلمة ليس لها معنى؟

والعجيب أن البعض يرفضون أن يقدم الفادى نفسه فى موضع الخاطئ. أى يضع نفسه فى مكان الخاطئ بينما الكتاب واضح إذ يقول أشعياء النبى "والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش53: 6) وقال يوحنا المعمدان "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو1: 29). ويقول أيضاً أشعياء النبى "جعل نفسه ذبيحة إثم" (أش53: 10). وفى رسالته الأولى يقول معلمنا بطرس الرسول "عالمين أنكم **أفتديتم** لا بأشياء تفنى… بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب" (1بط1: 18-19) ويقول معلمنا بولس الرسول إن "المسيح **إفتدانا** من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غل3: 13). ويقول "قد **أشتريتم** بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (1كو6: 20). ويقول "إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض **الذى كان ضداً لنا** وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو2: 14).

ماذا يعنى تمزيق صك الدين الذى كان علينا؟ إلا إيفاء الدين تماماً بالصليب. فلماذا نحسب الدين إهانة للمخلص المحبوب؟

بولس الرسول يقول فى جسارة "لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

**القديس مار أفرام السريانى** يقول **[**السبح للغنى الذى **دفع عنا ما لم يقترضه** وكتب على نفسه صكاً وصار مديناً**]** (الترنيمة الثانية عن الميلاد).

**القديس أمبروسيوس** يقول [ بالجسد علّق على الصليب ولأجل هذا صار لعنة. ذاك **الذى حمل لعنتنا**] (شرح الإيمان المسيحى – الكتاب الثانى- الفصل 11).

**والقديس أثناسيوس** يقول [ ولأن كلمة الله هو فوق الكل فقد لاق به بطبيعة الحال أن **يوفى الدين بموته** وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية لأجل حياة الجميع. ] (تجسد الكلمة فصل 9 الفقرة 2).

**مسألة إهانة كرامة الله :**

الذيــن يرفضـون عقيـدة الكفــارة يقـولون: "إن شــر الإنسـان لا يمكن أن يجرح كرامة الله، ولا يهينه. إذ كيـف للإنسان أن يمس كرامة الله، حتى لو فعل الإنسان كل ما فى وسعه من شر!!؟" ونحن نجيب عليهم بأن خطية الإنسان لن تمس كرامة الله طالما يعلن الله غضبه ضد الخطية. أما إذا لم يعلن غضبه كقدوس ففى هذه الحالة –وهذا مستحيل- تكون كرامته قد أهينت إذ لم تعلن قداسته المطلقة كرافض للشر. ولهذا فنحن نرى العدل والرحمة يتلاقيان بالصليب وبهذا أعلنت قداسة الله العادل ومحبته فى آنٍ واحد.

وقد أوضح القديس أثناسيوس أن العدل الإلهى قد استوفى بآلام وموت الصليب فقال [ لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتى بالفاسد إلى عدم فساد، وفى نفس الوقت أن **يوفى مطلب الآب العادل المطالب به الجميع** وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، فكان هو وحده الذى يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شئ وأن يتحمل الآلام **عوضاً عن الجميع** وأن يكون **نائباً عن الجميع** لدى الآب ] (تجسد الكلمة فصل 7 فقرة 5).

**الموت النيابى:**

ينادى البعض فى زماننا الحاضر بأن السيد المسيح لم يمت عنا بل مات **لأجلنا**. بمعنى أنه لم يمت على الصليب **بدلاً عنا** بل **مات بنا** وبهذا نكون قد متنا معه!!!

ويقولون إنه من الخطأ القول بأنه **تألم عنا** أو **صلب عنا** أو **مات عنا**... وهكذا وقد نسى هؤلاء أن الكنيسة كلها تردد فى قانون الإيمان فى جميع صلواتها الليتورجية عن السيد المسيح أنه **[**نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس وصلب **عنا** على عهد بيلاطس البنطى] فمن الواضح أننا نعترف بأنه صلب **عنا**...

وأن السيد المسيح نفسه قال إن "ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية **عن** كثيرين". (مت20: 28).

وما معنى الفدية إن لم تكن **عوضاً عمن** إفتداهم؟!!

لو كنا قد متنا مع المسيح يوم صلبه فى يوم الفداء، فما هو لزوم الفداء؟‍ إننا فى هذه الحالة نكون قد دفعنا ثمن الخلاص بأنفسنا فى يوم الصليب.

**نحن صلبنا مع السيد المسيح ودفنا معه يوم قبولنا لسر العماد المقدس كقول معلمنا بولس "أم تجهلون أننا كل من إعتمد ليسوع المسيح إعتمدنا لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة" (رو6: 3،4).**

إن الروح القدس بعمل فائق للطبيعة وفوق الزمان والمكان يعمل فى سر العماد **ويأخذ من إستحقاقات موت المسيح ويعطينا**.. يمنحنا الغفران بإستحقاقات دم صليبه ويمنحنا الطبيعة الجديدة التى تليق بحياة البنوة لله ويجعلنا أعضاء فى "جسده الذى هو الكنيسة" (كو1: 24). النعمة الإلهية لا حدود لها أما نحن فمحدودين.

إن السيد المسيح قد إشترك فى طبيعتنا بلا خطية لكى يصير قادراً أن يموت نيابة عن جميع الذين إفتداهم حينما حمل خطاياهم مسمراً إياها بالصليب.

**عن هذا قال القديس أثناسيوس الرسولى فى كتاب تجسد الكلمة الفصل الثامن** **[**وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك : **أولاً** لكى يَبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر الذين **ناب عنهم**. **ثانياً:** لكى يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار] .

وأيضاً فى الفصل التاسع **[**وإذ رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى بإتحاده بالكلمة ، الذى هو فوق الكل، **يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل،** وحتى يبقى فى عدم فساد بسبب الكلمة الذى أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدم للموت ذلك الجسد، الذى أخذه لنفسه، **كمحرقة وذبيحة** خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من **ناب عنهم**، إذ قدم **عوضاً عنهم** جسداً مماثلاً لأجسادهم ].

وقال السيد المسيح "أنا أضع نفسى **عن** الخراف" (يو10: 15). وتنبأ قيافا وقال "أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد **عن** الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه" (يو11: 49-51). كيف يتجاسر أحد أن يقول أنه قد شارك المسيح فى صلبه يوم الجلجثة وفى تقديم ذبيحة الفداء بينما النبى أشعياء يقول "كلنا كغنم ضللنا مِلنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش53: 6).

وردت النصوص التالية عن ذبيحة المسيح على فم أشعياء النبى :

1. "أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحزن إن **جعل نفسه** **ذبيحة إثم**" (أش53: 10).
2. "عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم **هو يحملها**" (أش53: 11).
3. "**هو حمل** خطية كثيرين وشفع فى المذنبين" (أش53: 12).

**خلاص غير المؤمنين:**

يقول البعض ما ذنب الذين لم تصلهم بشارة الخلاص؟ للرد نقول أن معلمنا بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس: "أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى. الذى فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمذنب. لكن كلمة الله لا تقيّد. **لأجل ذلك** **أنا أصبر على كل شئ لأجل المختارين** **لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى**" (2تى2: 8-10). ومن الواضح هنا أنه يعتبر وصول البشارة بالإنجيل للمختارين، بواسطة الرسل خدام الكلمة هو شرط ضرورى لكى يحصلوا على الخلاص الأبدى. وعن المختارين أيضاً قال "كما **اختارنا فيه** (فى المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون **قديسين**" (أف1: 4). وقال أيضاً "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده. لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين أخوة كثيرين. **والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً.** والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو8: 28-30) من الواضح من كلام القديس بولس الرسول أن الله يعرف أولاده من قبل تأسيس العالم، وهؤلاء مدعوون حسب قصده **بناءً على سبق معرفته أنهم سوف يقبلون الدعوة.** ولا يمكن أن يوجد من هو قابل للدعوة ويُترك بلا دعوة. لأن الكتاب يقول "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تُخلِّص" (أش59: 1).

فمن المعلوم يقيناً أنه بدون الإيمان لا يمكن أن يفلت الإنسان من غضب الله "الذى يؤمن بالابن له حياه أبدية. والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو3: 36). وأن **المعمودية هى شرط** لدخول ومعاينة ملكوت الله "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.. إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو3: 3، 5). بدون المعمودية كيف تصير للإنسان أعيناً روحية فى جسد القيامة، الذى يستطيع به أن يرث الملكوت وأن يعاين أمجاده.

أما قول معلمنا بطرس الرسول:**"فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده**"(أع10 :35) للرد نقول أن بطرس الرسول قال هذا فى بيت كرنيليوس الأممى حينما ذهب ليبشره بالمسيح، وكان يقصد أن الله لا يحابى اليهود على الأمم بل كل الأجناس مقبولة أمامه إن هى آمنت بالمسيح. وبداية القول هى هكذا، "بالحق **أنا أجد** أن الله لا يقبل الوجوه بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده"*.* فهو يقصدأن الإيمان هو ليس لليهود فقط بل لكل الأمم. وينبغى أن نتذكر أن باقى الرسل قد اختلفوا مع بطرس الرسول لدخوله بيت كرنيليوس الأممى، ولم يقبلوا بسهولة دخول الأمم إلى الإيمان، إلا بعد أن قص عليهم القديس بطرس كل ما أعلنه له الله ورتبه وأجراه فى موضوع كرنيليوس. وقال الرسل "إذاً **أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة**" (أع11: 18).

ثم من هو الذى يصنع البر؟ هو الذى يقال عنه "فآمن إبراهيم بالله فحُسب له براً" (رو4: 3). وقال بولس الرسول "فإذ قد **تبررنا بالإيمان** لنا سلام مع الله" (رو5: 1). وقال أيضاً "وأما الآن فقد ظهر بر الله… **بالإيمان بيسوع المسيح**" (رو3: 21-22) . ويقول أيضاً "لإظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً **ويبرر من هو من الإيمان بيسوع**" (رو3: 26).

ويقول أيضاً "لأن الله واحد هو الذى سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان" (رو30:3). فلا يوجد بر إلا بالإيمان بالمسيح، وأى بر آخر فربما يعطل الإيمان فى بعض الأحيان. مثلما قيل عن اليهود إذ أرادوا أن يثبتوا بر أنفسهم لم يدركوا البر. "إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر البر أدركوا البر. **البر الذى بالإيمان**. ولكن إسرائيل وهو يسعى فى أثر ناموس البر، لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك **ليس بالإيمان** بل كأنه بأعمال الناموس" (رو9: 30، 33).

وقد حسم القديس بولس الرسول مسألة أن الخلاص ليس هو ببر الإنسان بل بخلاص المسيح فى غسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس أى المعمودية التالية للإيمان فقال "حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى3: 4-6).

وحينما كان بولس الرسول فى أثينا ورأى المدينة مملوءة أصناماً، احتدت روحه فيه لكراهيته الشديدة لعبادة الأصنام.

أما الادعاء بأن بعض الناس لم تصل إليهم الكرازة فنقول أن الله "لا يترك نفسه بلا شاهد" (أع14: 17). ويستطيع الله أن يستخدم البشر فى الكرازة، كما يستطيع أن يستعين بخدمة الملائكة، كقول الكتاب عن الملائكة "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب1: 14). وقال الكتاب عن الوثنيين "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته **حتى أنهم بلا عذر.** لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى. وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء. وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى، والطيور، والدواب، والزحافات. لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق" (رو1: 19-25). وقول الكتاب عن عبدة الأوثان **"أنهم بلا عذر"** واضح ولا يحتاج إلى تعليق.

أما الذين وصلتهم الدعوة ولم يقبلوها فقال عنهم بولس الرسول "إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو **مكتوم فى الهالكين** الذين فيهم **إله هذا الدهر** قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله" (2كو4: 3، 4). وليس هناك مجال للاحتجاج بأنهم لم يفهموا لأن السيد المسيح قال "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو18: 37).

وعموماً قال معلمنا بولس الرسول "لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن إشعياء يقول: يارب من صدّق خبرنا. إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة اللَّه. لكننى أقول ألعلهم لم يسمعوا؟ بلى... إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونه أقوالهم" (رو16:10-18). فليس هناك مجال للإدعاء بوجود عذر فى عدم الإيمان.

وعن مصير الذين لا يطيعون إنجيل المسيح قال معلمنا بولس الرسول "إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً. وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته. فى نار لهيب معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن مجد قوته. متى جاء ليتمجد فى قديسيه ويُتعجب منه فى جميع المؤمنين" (2تس1: 6-10).

**وفى سرد القديس بولس لواقعة ظهور السيد المسيح له وهو ذاهب ليضطهد المسيحيين فى دمشق قال للملك أغريباس :**

"سمعت صوتاً يكلّمنى ويقول باللغة **العبرانية** شاول شاول لماذا تضطهدنى، صعب عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذى أنت تضطهده. ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك **لأنتخبك** خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إيّاك **من الشعب** ومن الأمم الذين أنا الآن **أرسلك إليهم**. لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا **بالإيمان بى** غفران الخطايا ونصيباً مع المقّدسين. من ثم أيها الملك أغريباس، لم أكن معانداً للرؤيا السماوية. بل أخبرت أوَّلاً الذين فى دمشق وفى أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم، أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة" (أع26: 14-20).

**جسد حقيقى ودم حقيقى**

عندما قدّم السيد المسيح الخبز والخمر لتلاميذه فى ليلة الصلب قال: "هَذَا هُوَ جَسَدِي هَذَا هُوَ دَمِي"(مت26: 27، 28) أفلا نصدق السيد المسيح؟! كما قال أيضاً: "لأَنَّ **جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ (حقيقى) وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ**" (يو6: 55). وقال "**فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**" (يو 6: 57). وقال "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. **وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ** **جَسَدِي** **الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ**" (يو6: 51).

بعد كل هذا يهزأ بنا البعض ويقولون أننا نعجن إلهنا ونخبزه، ثم بعد ذلك نسجد له!!

يقول القديس بولس الرسول: "**أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِه، ِغَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ**" (1كو11: 27،29).فلماذا يكون مجرماً؟ ذلك لأنه جسد حقيقى..

ثم يقول معلمنا بولس الرسول:

"لِذَلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ (من يهاجموننا يقولون أن القداس هو عبادة أوثان، فلنرى ما سيقوله معلمنا بولس الرسول هنا). أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ (ونحن هنا نطالب القارئ أيضاً أن يحكم). كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ (هنا ويبدأ معلمنا بولس الرسول المقارنة بين العبادة الوثنية وبين الإفخارستيا بشجاعة نادرة بالروح القدس الذى أوحى إليه بكتابة هذه الكلمات) الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ. انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ (هنا بدأ يربط بين كأس البركة وجسد الرب فى القداس، بمفهوم آخر وهو إسرائيل والمذبح اليهودى وشركة المذبح. أى أنه يضع مسلك مسيحى ومسلك يهودى فى تناظر مع بعضهما) فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ (هنا وحَّد بولس الرسول بين الذبيحة ومن تقدّم له. وهو هنا انتقل من الذبائح التى كان يقدمها اليهود وكانت مقبولة من الله لأن الله هو الذى أمر بها، إلى أن جاء السيد المسيح وقدّم الذبيحة الحقيقية الكاملة التى كانت ترمز إليها ذبائح العهد القديم، انتقل من ذبيحة العهد القديم إلى ذبائح الأوثان) بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ (وهو هنا لا يريدهم أن يحضروا ذبائح الأوثان أو أن يشتركوا فى أكل ذبيحة لوثن) لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ (هنا هو وحّد بين الذبيحة ومن تقدم له الذبيحة ووضعها بالتناظر، وقال لهم إما أن تختاورا ذبيحة الرب أو تختاروا ذبيحة الشياطين. ولكن لا تأكلوا من هذه وتلك). لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟" (1كو10: 14-22).

هذه العبارات تبين أنه فى فكر بولس الرسول مائدة الإفخارستيا هى مذبح لأنه وضع ثلاثة أمور: أولاً شركة جسد ودم المسيح، ثانياً ذبائح اليهود فقال "أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح"، ثالثاً ذكر المذبح الوثنى، وأخيراً قال لهم اختاروا أنتم ماذا تأكلون هل من مائدة الرب أم مائدة شياطين؟

فى الأصحاح الحادى عشر من الرسالة إلى أهل كورنثوس يقول معلمنا بولس الرسول: "لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمُ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا قَائِلاً: **هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي** اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي فَإِنَّكُمْ **كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيء**. إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (1كو11: 23-27). كلما يأكلون الخبز ويشربون الكأس يخبرون بموته إذن هى ليست للذكرى.

معلمنا بولس الرسول فى رسالة العبرانيين يقول "**لَنَا مَذْبَحٌ لاَ سُلْطَانَ للَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ**" (عب13: 10). أى ليس لليهود سلطان أن يأكلوا منه، فما هو هذا المذبح إلا مذبح العهد الجديد؟؟!

أما عن **رئاسة كهنوت السيد المسيح** على رتبة ملكى صادق فيقول الكتاب "حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب6: 20).

لماذا قال على رتبة ملكى صادق؟ أليس لأن ملكى صادق قدّم خبزاً وخمراً؟؟

وكيف يكون رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق إلا إذا كان هناك كهنة يقدّمون ذبيحة الخبز والخمر؟

إذن كهنوت السيد المسيح ينقض لو لم تكن هناك ذبيحة خبز وخمر أى إفخارستيا.

**إله العهد القديم هو إله العهد الجديد**

يقول البعض أن إله العهد القديم إله قاسٍ، وأنه يأمر بالحرب وبالقتل، لدرجة أن أحد الأشخاص قال أن إله العهد القديم هو إله "جزَّار". وكيف يأمر بقتل الأطفال فى أريحا!! فكان الرد: إن أطفال الوثنيين كانوا يُقدَمون ذبائح للأصنام، لذلك عندما نعمد الوثنيين بالذات أثناء نظره للغرب وجحده للشيطان ننفخ فى وجهه ونقول (اخرج أيها الروح النجس).

إن إله العهد القديم هو هو إله العهد الجديد.. **الله لم يتغير ولكن الإنسان هو الذى يتغير، ولو لم تكن وصايا العهد القديم تختلف عن وصايا العهد الجديد فما فائدة الفداء الذى تممه السيد المسيح على الصليب**؟!! **وما فائدة صلب السيد المسيح؟!! وما الذى تغير فى حياة البشرية؟!.. وما فائدة المعمودية؟!..** إذا كان إنسان العهد القديم يُعامل مثل إنسان العهد الجديد، ووصايا العهد القديم هى نفسها وصايا العهد الجديد، إذن ما الذى يكون قد قدمه تجسد السيد المسيح للبشرية!! وماذا يكون معنى كلمته التى قالها بفمه القدوس "أتيتُ لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو10:10) وما معنى كلام الكتب المقدسة مثل رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن **كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**" (غل3: 26، 27) أى أنكم أبناء الله بالإيمان ولكن ليس فقط الإيمان بل فسرها بالآية "**لأن** كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"، إذن أخذتم البنوة فى المعمودية، وكذلك "**إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة** الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً" (2كو5: 17) فكيف تكون خليقة جديدة إذا كانت الوصايا هى نفس الوصايا وإذا كان العهد القديم هو نفس العهد الجديد، فمن يزعمون أن إله العهد القديم هو إله قاس، وإله العهد الجديد هو إله المحبة والحنو والرحمة، نقول لهم أن الله "ليس عنده تغيير ولا ظِل دوران" (يع1 : 17)؛ فهذا تجديف على الله أن يُقال إن إله العهد الجديد غير إله العهد القديم.

## إله العهد القديم هو هو إله العهد، وإله الإعلان، وإله الخلاص.

**الله لم يتغير على الإطلاق**، لكن هل كان من الممكن قبل إتمام الفداء ودخولنا فى حالة العضوية فى الكنيسة جسد المسيح، إذ نصير أولاد الله بالمعمودية؟.. هل كان من الممكن أن تُعطَى وصية "أحبوا أعداءكم" (مت5: 44)؟ كيف سيطالبنا الله بمحبة الأعداء قبل أن نأخذ الولادة الجديدة؟!

عملياً هذا أمر مستحيل لأن "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو3: 6) لذلك قال السيد المسيح لنيقوديموس "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو3: 5) أى أن الإنسان محتاج أن يولد من فوق، وبالفداء يصبح من الممكن أن ينال الإنسان المؤمن الولادة الجديد من فوق بواسطة الماء والروح فى المعمودية.

كذلك عندما سؤل السيد المسيح "لماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلّق" (مت19: 7) أجابهم: "إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذِنَ لكم أن تطلِّقوا نساءكم" (مت19: 8) أى أنه لم يقل أن الله هو الذى تغيّر عندما منع السيد المسيح الطلاق ولكن قال إن السبب هو قساوة قلب الإنسان.

ففى العهد القديم حيث الإنسان المولود حسب الجسد من الصعب جداً أن نكلّمه عن حياة البتولية والزهد فى الزواج.. من الممكن أن نطالبه بعدم الزنا "لا تزن" (خر20: 14) عندما قال السيد المسيح لتلاميذه: "إن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامراته ويكون الاثنان **جسداً واحداً** إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد **فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان**" (مت19: 4-6) فهذا هو تكميل الوصية، ولذلك قيل عن سر الزواج: "هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف5: 32)، لأنه يستمد عظمته من أنه على مثال اتحاد المسيح بالكنيسة "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها" (أف5: 25).

الكتاب يقول: "أما ثمر الروح فهو **محبة، فرح، سلام،** **طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف**" (غل5: 22، 23) فكل هذه من **ثمار الروح القدس.** ويقول السيد المسيح: "سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم **ولا ينزع أحد فرحكم منكم**" (يو16: 22)كذلك يقول القديس بولس الرسول: "**افرحوا فى الرب** كل حين وأقول أيضاً افرحوا" (فى4:4) **فهذه مواهب فائقة للطبيعة**.

**كيف يحب الإنسان عدوه، ومن أين يأتى بهذه الإمكانية إن لم يأخذ الولادة الجديدة**...ويكون خليقة جديدة وابن الله، وليس ذلك فقط بل أيضاً والروح القدس يسكن فيه ويثمر فيه من ثمار الروح...فهل كل هذا سنطلبه من شعب العهد القديم؟! كيف يكون هذا!!!

**إذن لكى يعطينا الله وصايا العهد الجديد كان لابد أن يعطينا أولاً الإمكانية التى ننفذها بها .. فهل الله هو الذى تغير!! أم الإنسان هو الذى أخذ النعمة!!**

يقول أصحاب نظرية إله العهد القديم وإله العهد الجديد؛ **إن العقوبات فى العهد القديم كانت عقوبات صعبة وأما العهد الجديد فهو عهد النعمة والرحمة والخلاص**، وإن إله العهد الجديد هو إله حنون، وإله العهد القديم هو إله قاسٍ.. نحن نرفض هذه النظرية أصلاً لأنه هو إله واحد؛ الإله المثلث الأقانيم الذى أعلن بصورة واضحة عن نفسه فى الظهور المحيى الذى لابنه الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. ونقول عن السيد المسيح أنه هو الذى أظهر لنا نور الآب وأنعم علينا بمعرفة الروح القدس.

ولكن فلنرَ معاً **قائمة بالعقوبات التى ذُكرت فى العهد الجديد** ومنها سنجد أنها أشد مما ذُكر فى العهد القديم، لأن الإله الحنون فى العهد الجديد هو نفسه إله مخيف ومُرعب فى يوم الدينونة للخطاة غير التائبين وغير المؤمنين:

* قال بولس الرسول "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة**. فكم عقاباً أشر** تظنون إنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قُدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب10: 28، 29) "كم عقاباً أشر".
* ويكمل ويقول "فإننا نعرف الذى قال **لى الانتقام أنا أجازى** يقول الرب وأيضاً الرب يدين شعبه. **مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى**" (عب10: 30، 31).
* ويقول أيضاً "من أجل قساوتك وقلبك غير التائب **تُذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة**" (رو2: 5).
* ويقول "وإن كنتم تدعون أباً **الذى يحكم بغير محاباة** **حسب عمل كل واحد** **فسيروا زمان غربتكم بخوف**" (1بط1: 17).

إذن لابد لمن يسلك فى الخطية الآن أن يكون مرتعب أكثر من شعب إسرائيل لأنه يقول "إن كنتم تدعون أباً الذى يحكم بغير محاباة" والسيد المسيح يقول "وأما ذلك العبد الذى يعلم إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته **فيضرب كثيراً**، ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق ضربات يضرب قليلاً، فكل من أعطى كثيراً يُطلَب منه كثير ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر" (لو12 : 47،48).

* "**لأن إلهنا نار آكلة**" (عب12: 29).
* عندما يجئ السيد المسيح فى يوم الدينونة، سيقول الأشرار للجبال "اسقطى علينا وللآكام غطينا" (لو23: 30).
* "وهم يقولون للجبال والصخور اسقطى علينا واخفينا عن وجه الجالس على العرش **وعن غضب الخروف**. لأنه قد جاء **يوم غضبه العظيم ومن يستطيع الوقوف**" (رؤ6: 16، 17).

فالسيد المسيح حمل الله الوديع الحنون المحب للعشارين وللخطاة يقول عنه "غضب الخروف".. و"يوم غضبه العظيم". فكل غضب العهد القديم لا يساوى شئ إطلاقاً أمام غضب الخروف فى يوم مجيئه الثانى وأمام هذا المحيط العظيم (بحر الدينونة)

* وأيضاً يوحنا عندما رآه فى الرؤيا (لئلا يظن أحد أن هذا الحال مع الخطاة فقط) قال فى سفر الرؤيا "**عيناه كلهيب نار**" (رؤ19: 12)، وأن "**سيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ... فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت** فوضع يده اليمنى علىَّ قائلاً لى لا تخف أنا هو الأول والآخر" (رؤ1: 16،17).

فحتى يوحنا الذى كان يتكئ على صدره فى أيام تجسده حينما رآه فى بهاء مجده لم يحتمل.

* "الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب" (1كو4 : 5).
* الذى قال عن نفسه "إنى أنا هو الفاحص الكلى والقلوب **وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله**" (رؤ2: 23).

فإن كان السيد المسيح يتعامل برفق مع الخطاة فهذا لكى يجتذبهم إلى التوبة "ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو8: 11)، فهذا الحنان يجتذب الخاطئ إلى التوبة وإلى معرفة أحضان الله، الله الرؤوف الحنَّان الطويل الأناة، ولكن بعد أن يجتذبه إلى التوبة يقول له (لقد اشتريتك بدمى)، "أنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (1كو6: 19، 20)، "كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام" (2كو5 : 15)؛ أما من يريد أن يسير على هواه فهو يُقال له أنك "تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو2: 5).

ويقول السيد المسيح: "وكما كان **فى أيام نوح** كذلك يكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذى فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع، **كذلك أيضاً** كما كان **فى أيام لوط** كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون ولكن اليوم الذى فيه خرج لوط من سدوم أمطر ناراً وكبريتاً من السماء **فأهلك الجميع،** **هكذا يكون** **فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان**" (لو17: 26- 30).

### **شِهادة السيد المسيح للعهد القديم**

* شهد السيد المسيح نفسه للعهد القديم وقال؛ **يقول داود بالروح (أى بالروح القدس)** "**قال الرب لربى اجلس عن يمينى**" (مت22: 44، مر12: 36، لو20: 42، أع2: 34).
* وقال أيضاً "إنه **ينبغى أن يتم فىّ أيضاً هذا المكتوب**" (لو22: 37).
* وقال "**لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير**" (لو24: 44).
* كما شهد السيد المسيح للعهد القديم فى مواضع كثيرة وقال موسى كتب عنى "لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى **لأنه هو كتب عنى**" (يو5: 46).
* وقال "ما جئت لأنقض **بل لأكمل**" (مت5: 17).
* وقال أيضاً "إلى أن تزول السماء والأرض؛ **لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس** حتى يكون الكل" (مت5: 18).

1. انظر كتابنا "ظهورات الله فى العهد القديم" [↑](#footnote-ref-1)
2. N &PN Fathers, series 2 Vol. VI, p. 296. [↑](#footnote-ref-2)
3. J.P. Migne, *Ellhnikh Patrologia* *Patrologia Graeca*, Tomos 26, Tou agiou kata areianwn logos tritos( kentron paterikwn eklosewn( aqhnai 1999( p. 349. [↑](#footnote-ref-3)
4. Ibid. p. 385. [↑](#footnote-ref-4)
5. Ibid. p. 393. [↑](#footnote-ref-5)
6. Ibid. logos tetartos( p. 517. [↑](#footnote-ref-6)